شعر الأطفال ودوره التربوي في تشكيل الهوية الثقافية "دراسة تحليلية"

د. نسرين محمود محمد رضوان

دكتوراه التربية، جامعة المنصورة

المقدمة

تعد مرحلة الطفولة من أهم المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته ومن أكثرها خطورة؛ لأنها المرحلة التي يتم فيها وضع بذور الغرس الأولى، التي تتبلور وتظهر ملامحها في تكوين شخصية الطفل، ففيها يتحدد المسار النمائي للطفل من كافة الجوانب: العقلية، والوجدانية، والنفسية والاجتماعية، بما يعني بناء شخصية سوية لمستقبل مشرق.

وتتحدد تلك الجوانب النمائية طبقًا لما توفره البيئة المحيطة وما تشتمل عليه من عناصر متنوعة، سواء أكانت ثقافية أم اجتماعية أم تربوية، وبناء الهوية الثقافية في مرحلة الطفولة يعد الركيزة الأساسية التي تقوم عليها شخصية الطفل، وما تتمتع به من مقومات الهوية الثقافية المصرية الأصيلة (الأسد، ١٢٤).

وتعد الهوية الثقافية أحد الروابط الرئيسة التي تشد أفراد المجتمع الواحد على نفس القيم والضوابط الأصيلة، فهي عبارة عن إرث اجتماعي متوارث عبر الأجيال، لا ينحرف خارج إطار القوانين التنظيمية الخاصة به، أي أنها امتداد

لفكر العنصر البشري، مع مراعاة تتابع التاريخ، وظروف التطور والتغير الاجتماعي الذي يطرأ على المجتمع. فالثقافة البشرية تتسم بالتنوع والاختلاف، وفي ظل ما يفرضه التطور والتجديد في الواقع المعاصر بات هذا التنوع الثقافي مهددًا للهوية الثقافية المحلية (الداقوق، ٥٢).

ففي هذا الصدد يقول (المهاتما غاندي): "لا أريد أن يكون منزلي محاطًا بالجدران من جميع الجوانب ونوافذي مسدودة، أريد أن تهب ثقافات كل الأرض، بمحاذاة منزلي وبكل حرية، لكني أرفض الانقلاب بهبوب أي واحدة منها" (أبو زيد، ٣٧٣).

فالتشبث بالهوية الثقافية لا يعني الانغلاق والتمركز الداخلي، لكن الانفتاح على الثقافات الأخرى دون المساس بجذور الهوية الثقافية المحلية؛ لكونها تعطي لكل مجتمع خصوصيته، وتميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى (الأسد، ١٢٩).

وفي هذا الصدد عبر المفكر (برهان غليون) عن ذلك في ندوة عقدت في القاهرة عام ١٩٩٧ تحت عنوان: (مستقبل الثقافة العربية)، قائلًا: "إن العولمة الثقافية تقوم بتعميم أزمة الهوية، حيث تتضاءل مع تزايد الثقافات الأقوى في فضاء مفتوح على الثقافات الوطنية، ونفوذها" (الداقوق، ٧٩).

وحيث إن البعد الثقافي هو المعيار الأول في تحديد طبيعة مجتمع ما، وبما أن الأدب– ومنه أدب الطفل– يعد مرآة الشعوب، ومصدر إلهامها وعنوان حضارتها؛ إذ أن آداب الأمم هي إفرازات طبيعية لتلك الأمم، ومرآة للواقع

المادي والفكري والروحي لها، وتسجيل لهويتها، والأحداث التاريخية التي مرت بها وواجهتها، فهو الوسيلة الأدبية لتصوير كل التفاصيل والمسارات الخاصة بأي مجتمع (عبد الفتاح، ١٠١).

وبما أن شعر الأطفال أحد فروع أدب الطفل؛ يساعد على إيقاظ قدرات النشء الخيالية والعاطفية والنفسية، ويحيي فيه أجمل معاني الحياة، وأسمى درجات الجمال، إذ يسعى الشاعر دائمًا إلى استثارة الطفل، وتنمية خياله، وذلك من خلال نص استثنائي من شاعر استثنائي، خَبَرَ الحياة وعرف مداخلها ومخارجها، مبدع حقيقي، ألفاظه عذبة، وقاموسه اللغوي واضح، يقترب من لغة الطفل ومن نفسيته، فتكون لغة الشعر بسيطة، لها مغزى وهدف تربوي (أبو زيد، ٣٧٩).

وعليه؛ يمكن القول: إن مرحلة الطفولة تعد أرضًا خصبة ينبغي استغلالها في بناء القيم الإيجابية، وبناء النشء العربي الصالح، وتربيته وتنشئته على جميع الأصعدة بحيث يعي ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه وهويته، وبالتالي من الممكن استغلال أدب الطفل ومنه شعر الأطفال في القيام بتحقيق تلك المهمة.

مشكلة الدراسة

يتّفق النقاد والمبدعون – في الشرق والغرب – على المكانة الكبيرة للهوية الثقافية، في أدب الطفل بفنونه المختلفة، ومنه: الشعر. فقد كان للعرب

نظرتهم الخاصة لإرثهم وهويتهم التي تحمل في ثناياها أسباب بقائها، وعوامل خلودها.

ولعل من بين أسباب هذا البقاء والخلود، ما تتضمّنه هذه الهوية من الأبعاد الإنسانية والقيم الرفيعة التي تتجاوز حدود الزمان والمكان، فعلى الرغم من تطاول العهد، فإن هذه الهوية الثقافية ظلّت محتفظة بزخمها الفكري ووهجها الحضاري، محافظة على القيم الجمالية التي تزخر بها، متميّزة بها عما سواها من آداب الأمم الأخرى؛ للوقوف الأوَّلي على معطياتها القومية والخلقية والإنسانية (شهاب، ٢٩).

ومن ثم تمثّلها، لمتابعة السير على الطرق التي شقّها الآباء والأجداد، بغية الوصول إلى الهدف المنشود ممثلًا في تحصين جيل هذه الأمة من هجمات الغزو الفكرية والاختراقات الفادحة التي أحدثها الأعداء في جدران البيت العربي، والتي باتت من الخطورة بمكانٍ، بحيث تستوجب صحوةً فكريةً وخلقيةً ودينيةً، تُبعد عن العيون هذا الكرى الذي يجعلها تستكين إلى ما تتلقّاه من منتجات الحضارة الغربية (عبد الوهاب، ١٩٦).

وشعر الهوية الثقافية، وما يخصّ الأطفال منه، يعنى قبل كل شيءٍ بإطلاع الأطفال على التراث العربي، وما يحتويه من مثلٍ وقيمٍ إنسانيةٍ وخلقيةٍ وقوميةٍ، وفصاحةٍ وبلاغةٍ، وموسيقي وغناءٍ وأخيلةٍ، لتظلّ صلة الوصل قائمةً بين أجيال العصر الراهن، وبين ماضي نشرُف بالانتماء إليه، ولكي يتذوّق الأطفال إرثهم الحضاري وهويتهم الثقافية، يجب جعلهم يشعرون به شعورًا ذاتيًا

مباشرًا، ومن ثم يتلمّسون بأنفسهم تلك الرابطة الوجدانية التي تجذبهم إليه، وتَمَثُّله، والاندماجُ فيه (أبو زيد، ٣٨٩).

لذا قد يكون إعطاء الهوية الثقافية من خلال شعر الأطفال قدرًا فوق ما تحتمل مرحلة الطفولة، نظرًا لتأثّرها بالوجدان القومي الذي يضفي على الأمة، وماضيها الحيّ صفة القداسة المطلقة؛ نظرًا لما يضمّ من تاريخ ديني وفكري وثقافي وحضاري، ولأنه يتناول فلسفةً خاصةً للحياة تحدّد الغرض منه، وتكسبه معنى معيّنًا، وتجعل له هدفًا محدّدًا تسعى إليه، ولكنّ ثمة شيئًا مشتركًا يربط بين حاضر الأمة وماضيها، يعد ممثّلا للذاكرة الحضارية (عبد الفتاح، ١٨٤).

وانطلاقًا مما سبق، فإن الذين يكتبون للطفل عليهم مسئولية مضاعفة؛ لأنهم يكتبون لبناء جيل، هدفهم تشكيل شخصية واعية منتجة، منتمية مؤمنة، تحب وطنها، وتنتمي لعقيدتها الإسلامية السمحة، فالكتابة للطفل عمل إبداعي، يحتاج إلى خبرة ودراية ووعي، وفهم لطبيعته وشخصيته ومستواه (أبو زيد،٣٥).

ويعد شعر الأطفال صياغة لثقافة من مجموعة ثقافات ومفاهيم وقيم وطموحات، وعلى ذلك لا بد من فهم نفسية الطفل وبيئته وإمكاناته؛ لهذا يهدف شعر الطفل إلى مساعدته على فهم الحياة، والوقوف على قضاياها ومشكلاتها حتى يتهيَّأ لمواجهتها (نجيب، ٢٣٩).

لذا تسعي الدراسة الحالية للوقوف على شعر (الهراوي) باعتباره رائد شعر الأطفال العربي، فقد نظمه بالفصحى مراعيًا سهولة اللغة وسلامتها، وبساطة التراكيب وطرافتها؛ حتى يسهل حفظها على الطفل، كما تتنوع

موضوعاته وأهدافه بين التسلية والمتعة والتربية والتعليم، وتنمية الوعي القومي والديني لدى الأطفال (مسعد، ٣٣٩٧).

وعليه؛ وانطلاقًا من حقيقة أنّ الأطفال يمثلون شريحة مهمة من المجتمع، باعتبارهم قادة الغد وبناة المستقبل، وإيمانًا بضرورة تحقيق تنشئة سوية مستدامة من أجل نهضة حضارية للمجتمع المصري عمومًا، وللطفل خصوصًا، تقوم على تأصيل الهوية الثقافية لدى النشء المصري، تسعى الدراسة الحالية للوقوف على شعر الأطفال عند (محمد الهراوي)، ودوره التربوي في تشكيل الهوية الثقافية.

وعليه؛ تحددت مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية:

١. ما أبعاد الهوية الثقافية؟

٢. ما خصائص شعر الأطفال؟

٣. ما معالم الرؤية التربوية للهوية الثقافية المصرية في شعر الأطفال عند (الهراوي)؟

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة الحالية إلى تعّرف محتوى الهوية الثقافية المصرية بشعر الأطفال عند (الهراوي)، من خلال اختيار عينة عشوائية من كتاباته في شعر الأطفال، للوقوف على تنشئة سوية للطفل قد تسهم في تحقيق النهضة الفكرية والثقافية والحضارية من أجل مستقبل مشرق للنشء.

أهمية الدراسة

وتتبع أهمية الدراسة الحالية من أهمية محاورها، كالتالي:

١. مرحلة الطفولة هي المرحلة الرئيسة التي تنطلق منها النهضة الفكرية والحضارية في حياة أية أمة من الأمم.

٢. شعر الأطفال أحد فروع أدب الطفل الذي قد يسهم بشكل مؤثر في تكوين الوعي الثقافي والحضاري، وتنمية المهارات العقلية العليا، ممثلة في بناء الهوية الثقافية، وما يرتبط بها من قيم الولاء والانتماء الوطني.

٣. أهمية محتوى شعر (الهراوي)، وما يشتمل عليه من صور الهوية الثقافية المصرية، لما يسهم به بشكل تربوي فعال في تعزيز الهوية.

حدود الدراسة

قامت الدراسة بتحديد الهوية الثقافية المرغوب تواجدها في شعر الأطفال على ضوء الرؤية التربوية للهوية الثقافية في محتوى شعر (الهراوي)، من خلال تحليل عدد (١٩) تسع عشرة قصيدة شعرية تم اختيارها عشوائيًا من ديوان (السمير الصغير) الذي جاء في صورة كتيب صغير قدمه (الهراوي) لمرحلة الطفولة المبكرة، بالإضافة إلى اختيار مقطوعات شعرية من دواوين (سمير الأطفال للبنين)، و(سمير الأطفال للبنات)، وتحليل كل من تلك المقطوعات قياسًا على أبعاد الهوية الثقافية؛ لتعرف الدور التربوي لشعر (الهراوي) في تشكيل الهوية الثقافية المصرية للطفل.

مصطلحات الدراسة:

١. الهوية الثقافية

تعددت تعريفات الهوية الثقافية، فمنها أنها: "القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة أمة ما عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية والقومية طابعًا خاصًا تتميز به عن غيرها من الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى" (الأسد، ٢٩٥).

كما تعرف الهوية الثقافية كذلك بأنها: "المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم التي تحتفظ لجماعة بشرية بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء" (الداقوق، ٣٩).

ويتضح مما سبق أن "الهوية الثقافية تأتي ممثلة لمجموعة القيم والسمات المشتركة التي تميز مجتمع ما عن غيره من المجتمعات الأخرى.

وعليه؛ فإن الهوية الثقافية يمكن تعريفها إجرائيًا بأنها: "مجموعة الخصائص والثوابت التي تتفرد بها أمة عن غيرها، ممثلة في: قيمها، وعاداتها، وتراثها الديني، وإرثها التاريخي، وشخصيتها القومية، وكافة العناصر المميزة لهويتها الحضارية".

٢. شعر الأطفال

يمكن تعريف شعر الأطفال أنه: "لون من ألوان الأدب يتضمن كل الأنواع الأدبية، بيد أنه صيغة أدبية مميزة، يجد الأطفال أنفسهم من خلاله يحلقون في الخيال متجاوزين الزمان والمكان والمسافات والحضارات عبر الماضي وعبر المستقبل" (عيد، ٣٥٥).

أما (نجيب، ٣٠) فيرى أن شعر الأطفال هو: "تلك الكلمات العذبة التي يرددها الطفل فيطرب لسماعها، وهو يلبي جانبًا من حاجاته الجسمية والعاطفية، ويسهم في نموه العقلي والأدبي والنفسي والاجتماعي والأخلاقي... إنه فن من فنون أدب الأطفال".

ويتضح مما سبق، أن شعر الأطفال قد يعمل على تلبية كافة الجوانب النمائية لدى الطفل، وبشكل فعال يعمل على إمتاعه وتهذيبه.

وعليه؛ يمكن تعريف شعر الأطفال إجرائيًا بأنه: "أحد فروع أدب الطفل، ذلك الذي يتخذ أشكالًا فنية متنوعة وخصائص محددة، لديها القدرة على تجسيد المعاني والأفكار والمشاعر والقيم التي يتم تقديمها في صورة مبسطة لتعمل على دعم ثوابت الهوية الثقافية المراد تعزيزها لدى الطفل في ضوء معايير تتناسب ومتطلبات نموه، وتراعي خصائصه واحتياجاته".

منهج الدراسة وإجراءاتها:

وللإجابة على أسئلة الدراسة استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الذي تم من خلاله الوصف الشامل للهوية الثقافية في شعر الأطفال، على ضوء معالم الرؤية التربوية في شعر الهراوي من أجل تنشئة وتنمية سوية للنشء.

وتحقيقًا لأهداف الدراسة جاءت إجراءاتها مقسمه إلى ثلاثة محاور؛ **المحور الأول:** الهوية الثقافية وتنمية أبعادها لدى الطفل، وسبل تنميتها. **والمحور الثاني:** شعر الأطفال (ماهيته، وخصائصه، وأهدافه).

والمحور الثالث: معالم الرؤية التربوية للهوية الثقافية المصرية في شعر الأطفال عند (الهراوي)، ثم الإطار التحليلي: مؤشرات الهوية الثقافية المصرية في شعر (الهراوي) للطفل، **وتفصيل ذلك على النحو التالي:**

المحور الأول: الهوية الثقافية وتنمية أبعادها لدى الطفل، وسبل تنميتها

تواجه العديد من الدول بصفة عامة، ودول العالم الثالث بصفة خاصة، مشاكل وأزمات خطيرة تهدد وحدتها القومية بالانهيار، ومن أخطر هذه الأزمات، بل وأكثرها جدلًا أزمة الهوية الثقافية التي تتعلق بتكوين شعور مشترك بين أفراد المجتمع الواحد؛ لأنهم متميزون عن باقي المجتمعات، ومن هنا أصبحت الهوية الثقافية المحور الرئيس للأمم والشعوب المختلفة، فقد انفجرت صراعات عرقية وثقافية في شتي أنحاء العالم تبيد وتدمر وتقتلع جذورًا

كانت راسخة في كثير من الدول، مثل: دول البلقان، والصومال، ورواندا، حيث عمليات الإبادة الجماعية على أشدها وعلى نحو غير مسبوق (جاد، ٧- ١٢).

وبما أن الهدف الأسمى لأي مجتمع هو النمو والتطور للحاق بركب العالم المتقدم، وأن تحقيقه يكمن في عمل المجتمع بكافة أجهزته على تكوين الإنسان الذي يشارك مشاركة إيجابية فعالة في تحقيق تقدم مجتمعه، ولا يتحقق هذا إلا بالانسجام الكامل بين وسائل إعداد الفرد في المجتمع من منطلق أن الطفل يجب أن يولى عناية مستمرة من خلال الثقافة الموجهه للطفل من قبل الدولة والأفراد؛ لأن الطفل بحاجة مستمرة إلى فكر أمته وثقافتها، على أساس يضمن لهذا الزاد الثقافي والفكري الدوام والاستمرار، مما يتطلب الامتداد إلى الآفاق البعيدة لخيال وآمال وتطلعات طفل الحاضر ورجل المستقبل (عيد، ٢٣٩).

ولقد شغلت قضية الهوية الثقافية بال المفكرين والعلماء والمثقفين في دول العالم، خاصة في عصر العولمة الذي ترك أثارًا نفسية نتج عنها تحولات في الهوية، واستدعت العمل على تأصيل الهوية الثقافية بما يتفق مع ثقافة المجتمع، وبشكل يؤدى إلى تنمية الوعي بالهوية الثقافية، وأهميتها لدى الطفل، وإبراز دور شعر الأطفال في تدعيم الهوية الثقافية والحفاظ عليها (زلط، ٣٩).

ويعد أدب الطفل- ومنه الشعر- دعامة رئيسة في تكوين شخصية الطفل؛ حيث يسهم في نموه العقلي والتربوي والنفسي والاجتماعي والعاطفي واللغوي، ويعمل على توسيع مداركه، فهو أداة للنهوض بالطفل، فيعمل على

تشكيل وصياغة هويته؛ لذا يدعو الشعر الموجه للطفل لتحقيق مجموعة من أبعاد الهوية الثقافية، **على النحو التالي:**

١. البعد الاجتماعي

البعد الاجتماعي يشير إلى عملية وراثة وتعلم أعراف وعادات وأيدلوجيات ثقافة المجتمع، فمن خلال التنشئة الاجتماعية يطور المجتمع ثقافته في إطار قيمي سليم، يتفق في العادات والأدوار الاجتماعية واللغة المشتركة، فالتنشئة الاجتماعية هي العملية التي يكتسب من خلالها الفرد قيمه وأعرافه الممثلة لهويته الثقافية، كما أن البعد الاجتماعي لا يساعد في الحفاظ على القيم والمعايير الاجتماعية فحسب، بل يسهم في نقل تلك القيم من جيل إلى جيل (الداقوق، ١٨٧).

باعتبار البعد الاجتماعي يمثل المنظومة المتكاملة للمجتمع، وأن الهوية لا يتحدد معناها إلا من خلال الجانب الاجتماعي للأفراد، سواء بالتطابق أو بالاختلاف عن أو مع الجماعة التي ينتمي إليها، فإنه هنا تبرز خاصية الانتماء التي تحدد انتماء الفرد لفئات اجتماعية معينة، سواء بالسلب أو بالإيجاب، وهذا الأمر غاية في الأهمية، وينبغي العمل من أجله وترسيخه لدى أفراد المجتمع من الصغر، وعبر وسائل متعددة يأتي في مقدمتها أدب الطفل عامة، وشعره خاصة.

٢. البعد الثقافي والقومي

يعد هذا البعد، ممثلًا لثقافة المجتمع على المستوى الفردي والجماعي، هو المكون لمجموعة القيم المشتركة، والأفكار، واللغة، والأيديولوجيات والدين، ووحدة الرؤية والمصالح والمصير الواحد.

على سبيل المثال: فإن اللغة هي أهم أداة لنقل ثقافة الأمة إلى أبنائها، فهي المعبرة عن هويتها؛ لذا حرصت كل الأمم على أن يتم التعليم فيها بلغتها القومية.

وذلك لأن اللغة هي ذاكرة الأمة التي تختزن فيها تراثها ومفاهيمها وقيمها، وهي أداة التواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، وإذا كانت اللغة هي الأداة الرئيسة للثقافة والاتصال الإنساني، فإن فقدانها في حد ذاته يُعدُّ فقدانًا للثقافة، وفقدان الثقافة يؤدى لفقدان الهوية (عبد الفتاح، ٣٤٦).

وبذلك فإن اللغة جزء من نسيج الهوية، لا قوام للهوية بدونها؛ لأنه بدون اللغة القومية لا يبقى لأية أمة قوام يميزها عن سائر الأمم الأخرى، كما أن اللغة بالنسبة لأبناء الأمة ليست مجرد وسيلة تواصل، إنما هي وسيلة رئيسة تربطهم بعقائدهم، وتعد اللغة العربية من أهم ثوابت الهوية الثقافية العربية، فهي لغة القرآن الكريم، كما أنها ذاكرة الأمة العربية (شهاب، ١٠١).

لذلك لا بد من التأكيد على أهمية اللغة العربية كمقوم رئيس؛ وذلك لما تقوم به وتحققه من أمور تؤصل الهوية القومية والانتماء، وتحمي الخصوصية الثقافية، وتعزز التماسك المجتمعي بين الأفراد؛ لذا وجب الاهتمام بتعليمها

وتعلمها للنشء منذ الصغر بطريقة نظامية تعضد جهود الأسر في إكسابها لأبنائها، كل ذلك لاعتبارها مقومًا من مقومات شخصية هذا الصغير، فهي أداته للتفكير والتعبير والتخيل والتواصل، وتحقيق النهوض بمستواه الفردي وبمستوى مجتمعه الذي يعيش فيه.

٣. البعد الديني

إن الدين هو الذي يحدد للأمة فلسفتها في الحياة وغاية وجودها؛ لما له من تأثير مهم ورئيس في تعزيز الهوية الثقافية، كما أن له دورًا أيضًا في توجيه أفراد المجتمع؛ لشموله جوانب الحياة: الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها؛ إذ حدد كافة الأطر العامة في شتى مناحي الحياة المادية والاجتماعية والثقافية، لتكون مصدرًا للهوية الثقافية في كل مجتمع، ليس هذا فقط، بل هو أساس تشكيل السلوك وتوجيهه لدى أفراد المجتمع كافة، وهو مصدر الاعتزاز بالهوية المميزة لمجتمع ما عن غيره، أو كما يقولون على المجتمع المصري وأفراده: إنه مجتمع متدين بطبعه، فهو يعتز بذلك ويعلنه لغةً وسلوكًا، ويعيب على من يخالف ذلك وينبذه.

وقد رسخ الدين الهوية الثقافية، وأبرزها عن طريق تنظيم عدد من القيم في العلاقات الاجتماعية كـ: التكافل، والتعاون والإحسان، والتركيز على المثل الأخلاقية الإيجابية، ونبذ السلبية منها، ومثل هذه القيم هي التي تعمل على تقوية المجتمع، وتوجيهه نحو الصلاح والاستقرار (عيد، ٢٣).

فالدين هو المرجع الرئيس لمنظومة القيم التي يؤمن بها المجتمع، كما أنه مكون من مكونات تشكيل الهوية الثقافية، فالدين يؤكد على تراث الأمة ووحدتها الثقافية، وهو المنبع الأصيل للقيم والفضائل (عبد الوهاب، ٦١).

إذًا؛ يُعنى البعد الديني بتربية الإنسان وتقويم سلوكياته، به تتحدد شخصيته وهويته وقيمه ودوافعه ومختلف أفكاره، يحث على السلام بين كافة فئات المجتمع، فيعطي خاصية مميزة للأمة تنفرد بها؛ لذا تحرص على تأصيله في الصغار وعلى كل المستويات، وفي كل المؤسسات: اجتماعية، أو تعليمية، أو ثقافية، في الأسرة والمدرسة والإعلام والنادي والمسجد، وغيرها ممن يحمل عبء التنشئة الاجتماعية.

٤. البعد التاريخي

إذا كانت اللغة هي روح الأمة وحياتها، فإن التاريخ هو بمثابة وعي الأمة وشعورها، فالتاريخ المشترك واللغة يعدان من أهم عوامل هوية الجماعة الثقافية.

وهناك اتفاق مشترك من قبل الباحثين المختصين على أن التاريخ يعد من أهم دعائم الهوية، فالأمة لاتتوحد إلا بتاريخها الموحد، فهو السجل الثابت لماضي الأمة ومفاخرها، ومدخر ذكرياتها، وعلى هذا تسير الأمة من حاضرها إلى مستقبلها؛ وبذلك يعد التاريخ من أهم مقومات الهوية الثقافية المرتبطة بالحس القومي، ويتمثل في الأحداث والمواقف التي مرت بها الأمة واستقرت في أعماق ذاكرتها، وصهرت الأجيال من جيل إلى جيل داخل إطار وطني

واحد؛ ولذلك فإن طمس تاريخ الأمة أو تشويهه يعد سببًا في طمس هوية الأمة الثقافية وتهميشها (أبو زيد، ٦٢).

إذًا؛ يعد التراث التاريخي المشترك أحد مقومات الهوية الثقافية للجماعة، فهو يمثل وعي الأمة ومجدها، فلا يمكن أن تتوحد بدون تاريخ مشترك، والاستفادة من تاريخ الأمم السابقة في تجارب النجاح، كما أن الذكريات التاريخية تقرب النفوس وتوحد بينها، وإحياء الأمم للتاريخ المشترك يزيد من وحدتها واستقرارها.

وبما أن الهوية تعد من أهم السمات المميزة لأي مجتمع؛ لأنها تجسد الطموحات المستقبلية، وتبرز معالم التطور في سلوك الأفراد وإنجازاتهم في المجالات المختلفة، وتنطوي على المبادئ والقيم التي تدفع الإنسان إلى تحقيق غايات معينة؛ إذ تستند الهوية الثقافية لأي مجتمع إلى أصول تستمد منها قوتها، وإلى معايير قيمية ومبادئ أخلاقية وضوابط اجتماعية وغايات سامية تجعلها مركزًا للاستقطاب العالمي والإنساني، وقد يكون أدب الطفل– ومنه الشعر – من أهم معززات الهوية الثقافية لدى الطفل العربي (جاد، ٣٩٧).

وعليه؛ يعد شعر الأطفال أحد الأنواع الأدبية المتجددة في الآداب الإنسانية، ولما كان الطفل هو الغرس المأمول في بناء مستقبل الأمة، وحيث يعمل هذا الأدب بشتى اتجاهاته القصصية والشعرية على بناء شخصية الطفل، كونها ترسخ فيه هويته الثقافية. وبما أن استعمال الكلمة جزء لا يتجزأ من الحياة الإنسانية؛ إذ عن طريق الكلمة يستطيع الفرد أن يكتشف حقيقة نفسه،

وحقيقة الآخرين من حوله، كما يستطيع أن يندمج بصورة فعالة في الحياة الاجتماعية(عيد، ١٢٨).

كما أنه من السبل المهمة التي تعتمدها التربية الإيجابية، وأداة فاعلة لتقويم السلوك وتشكيل الوجدان، وصقل شخصية الأبناء الذين يمثلون عماد الأمة ومستقبلها. فالأمة التي ترتقي فيها أساليب التربية والتعليم يزدهر فيها المجتمع، وتعزز حضارتها، حيث إن التربية السليمة قوامها انتفاع الوطن بأبنائه.

ولقد كان للعرب على مر الأزمنة نصيب وافر من المقطوعات الشعرية التي كانوا يبتغون بها تأصيل وتنمية جميل الخصال، وحميد الفعال في أذهان أطفالهم قبل أن يشتد عودهم ويكبرون، حيث كانت البيئة العربية مؤمنة بمرحلة الطفولة، وضرورة توفير المناخات الجيدة لها، إذ كان للحياة العربية خصائص ومقومات يحتفظ من خلالها بالصور الحميمة والعلاقات الرحيمة بين أعضاء الأسرة، وصار الشعر مصدرًا خصبًا للثقافة الإنسانية بعامة، وثقافة التواصل بين الأجيال، لا سيما أن هذه الثقافة تتميز بما تتضمنه من نصائح السابقين وخبراتهم وتجاربهم (الكيلاني، ١٩٧).

مما سبق يمكن التأكيد على حقيقة، هي: أن الشعر دائم الإيقاظ لثوابت الهوية الثقافية للمجتمع العربي، وأن ذلك يتضح من خلال تناول شعر الأطفال: ماهيته، وخصائصه، وأهدافه، على النحو التالي:

المحور الثاني: شعر الأطفال (ماهيته، وخصائصه، وأهدافه)

يشكل شعر الأطفال وسيلة فنية جاذبة من وسائل تنشئة النشء التي تعدُّ نافذة المجتمع إلى المستقبل؛ لأنه يسهم في تكوين شخصية الطفل التي تقوم عليها شخصية المجتمع وهويته الثقافية.

والطفل في مراحله المبكرة يمثل تربة خصبة لغرس القيم التي تؤثر في سلوكه وأسلوب حياته، وحتى يكون لديه الاستعداد التام لتقبل واستيعاب الأفكار والمبادئ التي تسهم في تكوينه، فإن أدب الطفل- ومنه الشعر- يمثل اللبنة الأولى لشخصية الطفل في إطار القيم والاتجاهات المرغوبة، فهو يعد بذرة حقيقية تنبت في أعماق الطفل، وتشكل هويته الثقافية (عبد الفتاح، ١٨). ومن هنا تناولت الدراسة الحالية شعر الأطفال، على النحو التالي:

١. ماهية شعر الأطفال

إن للشعر لغته وأسلوبه الخاص، فالأطفال يحبون الشعر، ويطربون لأنغامه، وإن لم يفهموه في مراحلهم الأولى، فتهتم الأم بمداعبة الطفل بالكلمات البسيطة ذات الإيقاع الموسيقي، فتشعره بالارتياح لينام على هدي أنغامها، وعندما يكبر يقبل على حفظ بعض الأشعار ذات البحور القصيرة، إذا ما سهل لفظها ومعناها، وبرزت إيقاعاتها، ويتدرج الطفل في تقبله للشعر، حتى يرتقي إلى مستوى إدراكي يحفظ فيه الأناشيد الحماسية، ويرددها مع زملائه في المدرسة والبيت، وفي أثناء لهوه ولعبه، فالطفل يتمايل مع الإيقاعات الجميلة

والأغاني الخفيفة المرحة، ويسعد بتكرارها لمدة طويلة، إنه يدرك أن الكلمة لا تحمل معنى، ولكنه يشعر بالمودة نحوها (مسعد، ١٩٨).

وشعر الأطفال يعد مجموع الكلام الجيد المروي نثرًا وشعرًا، والشاعر هو ذاك الذي يتذوق الشعر، ولديه القدرة على الإنتاج الشعري، فالشعر ملكة أو براعة راسخة في النفس كالبراعة في سائر الصناعات الأخرى (عبد الفتاح، ١٩١).

إذًا؛ فشعر الأطفال هو التعبير الجميل الذي يحمل فكرة صائبة عن تجربة إنسانية، أو معنى من معاني الحياة، ويرد إما شعرًا و إما نثرًا، وهو نتيجة موهبة يمنحها الله للعبد، أو نتيجة اكتساب يتحصل عليه من خلال كثرة المران. وشعر الأطفال لا يكتمل في نظر معظم النقاد إلا إذا اشتمل على عناصر أربعة هي: العاطفة، والخيال، والفكرة، والصورة (جاد، ١٦٩).

ولقد أبدع العرب شعرًا جعلوه نافذة لهم، يُطّلون منها على عالم الطفل الذي حمّلوه أشواقهم إلى المستقبل الذي تسوده العدالة والسلام، ويستشرف الرؤى المستقبلية التي تعدُّ للطفل عالمًا يحقق من خلاله طموحاته وآماله المكتوبة. وتساعد الأعمال الإبداعية المختلفة على تشكيل ثقافة عميقة للطفل، وبخاصة إذا تُوِّجت بمعانٍ إنسانية راقية، تشجع على التواصل بين الأجيال. ويبدو ذلك من خلال تناول خصائص شعر الأطفال، على النحو التالي:

٢. خصائص شعر الأطفال

عند اختيار القصائد الشعرية للطفل لا بد من مراعاة بيئته، وسنوات عمره أو المرحلة العمرية له، وهناك خصائص تتصل بالشعر، فالإيقاع للطفل لا بد أن يكون سريعًا؛ لهذا يتجه كتاب الأناشيد والترانيم للطفل إلى البحور القصيرة، يصحب ذلك التكرار الذي يحبه الأطفال (عبد الفتاح، ٣٩).

ومن خصائص شعر الأطفال– والذي يختلف فيها عن شعر الكبار– ما يلي (نجيب، ١٨٣ – ١٨٧):

- بسيط، له مغزى، وله هدف تربوي.
- لغته خالية من المفردات الصعبة غير المألوفة أو المفهومة، فالطفل له معجمه الخاص به الذي يتناسب مع أفكاره.
- استغلال القصيدة الشعرية لقدرات اللغة الصوتية التي قد تحاكي أصوات الحيوانات والطيور.
- يتضمن الإيقاع والحركة والفكرة الهادفة، فالتعبير الشعري يكون رفيعًا، يهدف إلى تنمية الذوق الأدبي للطفل.
- تعزيز الترابط بين الفعل الإبداعي الراقي الذي يخاطب موضوعات تتناسب والمستوى الفكري، والمستوى العمري، والبيئة المحيطة بالطفل.
- إضفاء الجمال والسحر على عرض الصور الشعرية بصورة حسية مباشرة لكافة الحواس، ممثلة في: البصر، والسمع، واللمس، والذوق، والشم، فهذه المظاهر تعزز التعلم لدى الطفل.

وأخيرًا يختلف شعر الأطفال عن شعر الكبار؛ نظرًا لاختلاف المستوى العلمي والإدراكي، واختلاف الشكل والمضمون واللغة، فلغة شعر الأطفال سهلة الفهم، وسهلة التلقي، وسهلة المعاني والألفاظ. على أن يؤمن الشاعر أن الكتابة للطفل رسالة تربوية، لها هدف سام، تسهم في بناء شخصية سوية، لما لها من دور تربوي يساعد على تشكيل الهوية الثقافية بالمجتمع، وسيتضح ذلك من خلال عرض أهداف شعر الأطفال، على النحو التالي:

٣. أهداف شعر الأطفال

إن من أهم أهداف شعر الأطفال تنمية الذوق الحسي والفني والأدبي عند الطفل، كما إنه يسعى إلى إدخال السعادة وإثارة البهجة وتجديد النشاط في النفوس، ويساعد على تعليم اللغة، وتأصيل المبادئ والأخلاق، إلى جانب تنمية الحس الوجداني والعاطفي، والملكات والقدرات التخييلية، وتصحيح المفاهيم القيمية الخاطئة (عبد الوهاب، ٤٧). ويمكن توضيح أهداف شعر الأطفال وفقًا لنوعه كما عرضها (الكيلاني، ٣٥- ٤٥):

- **الشعر الغنائي:** يعد الشعر العربي القديم والجديد شعرًا غنائيًا، يقوم على قواعد صارمة في الوزن والقافية، ويكون متقنًا إتقانًا دقيقًا؛ لأنه يؤدي وظيفة تعليمية راقية.
- **الشعر الملحمي:** الذي يعنى بقصص البطولة الخارقة، ويخلط فيه الشعر بين الخيال والحقيقة، والواقع والتاريخ، ويعتمد على الأسطورة في أغلب الأحيان.

- **الشعر الدرامي:** أو ما يمكن تسميته بالشعر المسرحي أو التمثيلي، فهو قد يكون من أرقى أنواع الفنون الشعرية التي تكتب للأطفال، والطفل يتعلق بها تعلقًا ملحوظًا؛ لأنه يتابع أحداثه المقدمة له في شكل قصة، أو قد يتابعها على المسرح؛ فيزداد حبه لها، وتؤثر في نفسيته وشخصيته، خاصة إذا كتبت بعناية.
- **الشعر التعليمي:** يختلف كثيرًا عن الشعر الغنائي، فالشعر التعليمي يخلو من العاطفة والمشاعر؛ لأن الهدف الأبرز له تعليمي، فيه كثير من الحقائق والمعارف والأفكار الجديدة.
- **الشعر القصصي:** يتميز بالقصة الشعرية التي تحوي فكرة جميلة متدرجة الأحداث، وشخصياتها تنمو معها، لكن ليست معقدة لا في أحداثها ولا في شخصياتها، وقد ينهج الكاتب نهجًا رمزيًا بالاستعانة بالشخصيات الحيوانية، أو قد يستخدم عناصر الطبيعة المختلفة، مثل: القمر، والشمس، والرياح، والجبال، وفي هذه الحالة يكون الطفل أكثر انسجامًا ومتابعة، وتكون القصة أكثر تأثيرًا.

ويمكن تلخيص أهداف شعر الأطفال في النقاط التالية:

- يؤدي وظيفة قيمية وتربوية راقية.
- يعنى بالقصص البطولية المؤثرة في بناء شخصية الطفل.
- تعليمي يحمل العديد من الأفكار والمعارف المتنوعة.

وأخيرًا وبعد التطرق لأهداف شعر الأطفال، فإنه في عصر العولمة، وما تتابع عليها من تحولات ثقافية وتلاقح فكري، وما طرأ على العالم من نظريات تدعو للتفكك المجتمعي عبر أُطر أيديولوجية – في المقام الأول – دفعت هذه التحولات إلى طمس بعض معالم الهوية الثقافية بالمجتمع العربي– مما يلزم التطرق إلى معالم الرؤية التربوية للهوية الثقافية المصرية في شعر الأطفال، تحديدًا عند (محمد الهراوي)" باعتباره رائد شعر الأطفال، وقد تم تناوله على النحو التالي:

المحور الثالث: معالم الرؤية التربوية للهوية الثقافية المصرية في شعر الأطفال عند (محمد الهراوي)

يعد محمد الهراوي (١٨٨٥ – ١٩٣٩) رائدًا من رواد شعر الأطفال، فهو إنسان مصرى بحق، أحب مصر وتغنى بها، وأحب أطفال مصر، فقدم لهم دواوينه الأصيلة التي لم يلجأ فيها لا للنقل ولا للاقتباس، بل كان مبدعًا ومبتكرًا فهو أحد أدباء القرن العشرين، اتسمت قصائده الشعرية بالأصالة والغزارة والتنوع، ومراعاة خصائص أطوار مراحل الطفولة. هو رائد مرحلة التأليف المستقل، والتنوع الفنى في شعر الأطفال عن الفترة الزمنية التي شهدت التخصص الفني بداية العقد الثالث من القرن العشرين حتى العصر الحاضر (نجيب، ٣٦).

فقد ولد محمد الهراوي في محافظة الشرقية عام ١٨٨٥، وتعلم في القاهرة، ثم في الإسكندرية، وعمل في وزارة المعارف، ونقل إلى دار الكتب. والهراوي من أسرة علم وأدب كبيرة... فقد ورث ملكة الشعر عن جده (كبير علماء مصر في عهد محمد علي باشا)... ثم تعهد هذه الملكة بالرعاية والتنمية خاله الشيخ (محمد شريف سليم) الذي كان في زمانه كبير مفتشي اللغة العربية بوزارة المعارف، وناظر دار العلوم، وتلقى الهراوي تعليمه العام، وتعلم الفرنسية والإنجليزية إلى جانب علوم العربية، ثم التحق بعمل في دار الكتب المصرية في قسم الحسابات والمستخدمين، وكانت دار الكتب تتبع وزارة المعارف... كما كانت ملتقى لكثير من الأدباء والكتاب؛ مما جعل الشاعر يقترب من قلب الحركة الأدبية، وكان مكتبه منتدى للأدباء والشعراء، بل كانوا يطلقون على دار الكتب (دار الهراوي). وفي حى الحلمية القديم كانت ندوة الأدباء والشعراء في مقهى الحلمية أحد المقاهي المشهورة في عصره، والتي كانت تضم صفوة كبيرة من الشعراء والأدباء، كان الهراوي عضوًا بارزًا فيها (مسعد، ٩٨ – ١٢٥).

ولعل المتابع لإنتاج الهراوي الشعري للأطفال يجده – بذكاء وقصد – استطاع أن يستفيد من عمله في دار الكتب – خاصة إمكانية التصنيف والترتيب والدقة في العمل – فقسم إبداعه إلى مراحل ثلاث: رياض الأطفال، والتعليم الأولي؛ والمرحلة الابتدائية، وقدم لكل مرحلة من هذه المراحل ما يلائمها من إنتاج شعري؛ وبهذا أمكنه أن يطوع عمله إلى إمكاناته الفنية. وللهراوى شعر كثير منشور في الصحف والمجلات ما يكفي ديوانين، لكنه لم

يُجمع إلى اليوم، اللهم إلا ذلك اللون من الشعر الذي خصصه للأطفال. وقد تلقفت وزارة المعارف أعمال الهراوي التي صدرت له في مجال الطفولة، وقررت على النشء في مختلف المراحل الدراسية، وقد تناولت قصائد الهراوي الأغراض التربوية والتعليمية المتنوعة التي تهتم بمحتوى الهوية الثقافية المصرية كجوانب اللغة، والدعوة إلى التمسك بالقيم والآداب الحميدة (عبد الفتاح، ٢٨).

يعد تراث الهراوي" قيمة وثروة تربوية وعلمية وفنية مهمة ساهمت في تشكيل الهوية الثقافية المصرية في مرحلة الطفولة، فقد أصدر خمسة وعشرين عملًا شعريًا راعى فيها أعمار الطفل وأجناسه، وطاف فيها بين كثير من مجالات الطفل آخذًا بيد النشء على مر العصور، هدفه تعرفهم على كل شيء من حولهم بهدف تنمية كافة القيم: الدينية، والاجتماعية، والخلقية، والقومية، والمعرفية المختلفة (مسعد، ١٩٩٥، ٨٧).

وبالتالي فإن مجمل معالم الرؤية التربوية للهوية الثقافية المصرية في شعر الأطفال عند محمد الهراوي يمكن اختصارها في النقاط التالية (زلط، ٨٤-٨٧):

- التنوع في الأغراض التي تناولها الشاعر؛ مما يدل على ابتكار وتجديد، وحسن إحاطته بعالم الطفولة، ومراحله المتتالية.
- غزارة الإنتاج الشعري للأطفال، فقد أودع الشاعر محمد الهراوي مكتبة الأطفال أهم نتاج في الوقت الحاضر من حيث الكم وربما الكيف، فطبعت دواوينه لمراحل الطفولة المختلفة، وهي على ترتيب إصدارها

على النحو التالي: (السمير الصغير)، و(سمير الأطفال للبنين)، و(سمير الأطفال للبنات)، و(الطفل الجديد)، كذلك كتب الروايات التمثيلية الغنائية للطفل. وفي أواخر حياته طبع عام ١٩٣٧ ديوان (ألف باء) في مطبعة المعارف، وأتبعه بديوان (أنباء الرسل) للأطفال.

- ثبات لغة الأداء الشعري؛ فلم ينزل إلى درك من الإسفاف اللغوي أو الاستعمال الشعبي باللغة الدارجة في سائر منظوماته، ولم يصعد إلى علياء اللغة، فلغة الهراوي فصحى مبسطة، سلسة سليمة.
- بث وإعلاء قيم الحضارة الإسلامية والعربية في نفوس اللأطفال؛ ومن أهم القيم التي أكد عليها الشاعر في دواوينه قيم: العقيدة، والوطنية، والعلم، والعمل، والنظام، والإيمان، والحب، والانتماء، والطاعة، وغيرها من القيم الإيجابية.

وهكذا استطاع الهراوي أن يصل بالشعر والأدب بصفة عامة إلى مستوى السمو والتأثير في وجدان الطفل القارئ، فجاءت أشعاره موجزة قصيرة، تحقق الإفادة للطفل القارئ. وقد انقطعت رسالة الهراوي التربوية بوفاته، حيث توفي في فبراير من عام ١٩٣٩ عن أربعة وخمسين عامًا (مسعد، ٣٣٨).

وقد قامت الدراسة بقياس مؤشرات الهوية الثقافية المصرية في شعر الأطفال عند الهراوي قياسًا على أبعاد الهوية الثقافية التي اعتمدتها الدراسة، على النحو التالي:

الإطار التحليلي للدراسة: مؤشرات الهوية الثقافية المصرية في شعر (الهراوي) للطفل

عرف الهراوي فلسفة أدبيات الطفل في مراحل نموه المختلفة؛ فطبع دواوين صغيرة على هيئة كتيبات صغيرة الحجم بحيث تلازم كل قصيدة شعرية صورة ملونة، فالطفل يتذوق المحسوس حتى ينتقل إلى التجريد بالكلمة أو الصورة. وقد تم تطبيق الدراسة التحليلية على مختارات متنوعة اختيرت عشوائيًا من المقطوعات المقدمة لمرحلة رياض الأطفال، باعتبارها أكثر المراحل تأثرًا واستجابة.

وقد قامت الباحثة بتحليل عدد (١٩) تسع عشرة قصيدة شعرية من مختارات متنوعة تم اختيارها عشوائيًا من ديوان (السمير الصغير)، وكان قد جاء صورة في كتيب صغير قدمه الهراوي لطفل مرحلة رياض الأطفال، بالإضافة إلى (سمير الأطفال للبنين)، و(سمير الأطفال للبنات). وتم قياس الدراسة التحليلية على أبعاد الهوية الثقافية، للوقوف على مؤشرات الدور التربوي لشعر الهراوي في تشكيل الهوية الثقافية لدى الطفل المصري، من خلال تحديد مؤشرات أولية، للوقوف على النسبة المئوية؛ لمعرفة تكرار مجموعة الأفكار التي تؤكد على أبعاد الهوية الثقافية في قصائد الهراوي للطفل، عن طريق اعتماد الدراسة وحدة التحليل (الفكرة) (طعيمة، ٢٦٨). وقد تم ذلك على النحو التالي:

جدول (١)

مؤشرات تشكيل الهوية الثقافية المصرية في شعر (الهراوي) للطفل

محتوى ديوان (السمير الصغير)	مفردات دالة على أبعاد الهوية الثقافية المصرية	النسبة المئوية لتكرار الأفكار (%)
الهدية	تقبل الهدية من حسن الطوية	٧١,٤٢
أخلاق فاطمة	لا تغضب إلا لحق يغضب – حديثها محبب وطبعها مهذب	١١,٤٢
نشيد النيل	النيل سلسبيل، فليحيي نيل مصرا، النيل في القطرين حياة توأمين	٧١
الخطيب	يا بني الوطن يا أولي الفطن، ارفعوا لنا راية الوطن	٤٢,٨٥
أنشودة الصباح	إن تقوى الله نجح، نحن للأوطان نصر	٧١,٤٢
تحية المدرسة	بعلمه زودني، بنصحه أرشدني	٨٥,٧١
الكتاب	صاحبي الكتاب، العلم في السطور يسري إلى الصدور	١١,٤
النشيد المدرسي	مدرستي يا فخر الوطن	١٤,٢٨
محاضرة فاطمة	سيرا عن العصور الغابرة، مصر أمنا تحتاج للمؤازرة، بالعلم نعلو	٨٥,٧١
المنظار	أمير الجيش يصحبه ليأمن من أعاديه	٨٥,٧١
الساعة	رتبت أعمالي بها	٤٢,٨٥
الآلة الكاتبة	نريد آلة من اختراع مصري	٢٨,٥٧
العلم والعمل المهني	ما في صنعتي عار، للعلماء مرتبة وللصناع مقدار	٧١,٤٢
الحكمة	خذ عني حديث الحكماء، ليس يغنيك لسان دون عقل وذكاء	٤٢,٨٥
الطائر	طر بغير حذر، جهاد الأم لك	٥٧,١٤
الفلاح	قطني يجلب اليسرا، انهض نهضة كبري	٧١,٤٢
الترتيب والنظام	حسن نظام العمل يضمن نيل الأمل	٧١,٤٢
الحلقة الدوارة	قلبي صافي راع وافي، وطني مصر ولي الفخر	٨٥,٧١
تحية اللقاء	أنا إن رأيت جماعة قلت السلام عليكم	٤٢,٨٥
	المتوسط	٥٦,٦٠

يتضح مما سبق أنه تساوت القصائد الشعرية: (تحية المدرسة، ومحاضرة فاطمة، والمنظار، والحلقة الدوارة)، بنفس المركز حيث احتلت جميعها المركز الأول بنسبة مئوية تقدر بنحو (٨٥,٧١%)، وجميعها تعبر عن أبعاد الهوية الثقافية، باعتبارها منظومة متكاملة كان لها دور تربوي مهم يعد معززًا قويًا في تشكيل الهوية الثقافية للطفل العربي؛ إذ دعي في كل واحدة منها على حدة بأهمية العلم، ورفع راية الوطن، والتخطيط المسبق من قبل الجيش، وفخر الطفل لكونه مصري، ودول سقطت في العصور الغابرة، مما يدل على أن الهراوي عدَّ الطفل ثروة قومية تبنيه الكلمة.

ثم يأتي في المركز الثاني كل من: (الهدية، وأنشودة الصباح، والعلم والعمل المهني، والترتيب والنظام، والفلاح)، بنسبة مئوية تقدر بنحو (٧١,٤٢%)، وقد عبرت جميعها عن كل من أبعاد الهوية الثقافية الدينية والاجتماعية والقومية، باعتبارها أساس نجاح أي مجتمع، فبها تقوم أمم، وبغيابها تهدم أمم أخرى، وبها يعرف كل فرد ما له من حقوق وما عليه من واجبات، قوامها العلم والعمل.

يليه في المركز الثالث (نشيد النيل)، بنسبة مئوية تقدر بنحو (٧١%)، وقد عزز الهراوي في هذه القصيدة للنيل الاعتزاز به؛ باعتباره رمزًا قويًا معبرًا عن الشخصية المصرية وقوميتها، من خلال تعرف الطفل تراثه التاريخي، بالإضافة إلى تعليم الطفل العطاء من النيل، ويستدل من هذه القصيدة أن الهراوي تناول كل من الأبعاد: (الاجتماعية، والتاريخية، والقومية) الخاصة

بالهوية الثقافية المصرية؛ إذ جمع بينها في سطور قليلة، وهذا يُعد إبداعًا حقيقيًا.

ثم يأتي في المركز الرابع قصيدة (الطائر)، بنسبة مئوية تقدر بنحو (٥٧,١٤%)، وقد عزز الهراوي في تلك القصيدة البعد الاجتماعي؛ باعتباره عنصرًا مهمًا في أبعاد الهوية الثقافية المصرية؛ إذ حث فيه على الجهاد، والسعي، ضاربًا المثل بالطيور في أعشاشها، وأنها تسعى وتجاهد.

يليه المركز الخامس الذي تساوت به كل من القصائد الشعرية (الخطيب، والساعة، والحكمة، وتحية اللقاء)، بنسبة مئوية تقدر بنحو (٤٢,٨٥%)، وقد نادى الهراوي في تلك القصائد بالتحلي بالحكمة، وتنظيم الوقت، والتعامل بخلق الإسلام، ونشر السلام من أجل إعلاء شأن الوطن ورفع رايته عالية؛ مما يستدل به على تعزيز بناء الشخصية القومية للطفل العربي، من أجل مجتمع سوي بعيد عن الضغائن، فبالقيم والأخلاق تبنى الشخصيات وترقى الأمم.

وجاء في المركز السادس قصيدة (الآلة الكاتبة)، بنسبة مئوية تقدر بنحو(٢٨,٥٧%)، وقد دعا الهراوي فيها إلى أهمية العلم مع تشجيع الصناعة المصرية؛ مما يسهم في تشكيل الشخصية القومية التي تفخر بالصناعة الوطنية؛ مما يعزز قيم الانتماء لدى الطفل المصري.

يليه في المركز السابع قصيدة (النشيد المدرسي)، بنسبة مئوية تقدر بنحو (١٤,٢٨%)، مما يعزز جميع أبعاد الهوية الثقافية المصرية، إذ أنه

بالعلم والجد والعمل تُبنى الأوطان، كما عزز في تلك القصيدة فكرة الانتماء للوطن.

وأخيرًا جاء في المركز الثامن (أخلاق فاطمة، والكتاب)، بنسبة مئوية تقدر بنحو (١١,٤٢%)، وقد عزز فيهما كلًّا من الأبعاد الدينية والثقافية والقومية والاجتماعية؛ لكونهم مقومات رئيسة في نجاح أي مجتمع سوي تجمعه قيم إيجابية موحدة.

وعليه؛ يستدل من جميع ما سبق أن شعر (الهراوي) للطفل ظاهرة فنية فريدة من نوعها ممثلة للتنوع، فالهراوي شاعر مصري أصيل، له رسالة تربوية واضحة، وضع أهدافها بصورة واضحة معززة لجميع أبعاد الهوية الثقافية التي تعد مقومًا رئيسًا في بناء شخصية الأمة التي تقوم أركانها على:

- **البعد الاجتماعي:** إذ يبدو البعد الاجتماعي واضحًا في شعر الأطفال عند الهراوي، في إطار تنظيم المجتمع، والحث على العلم والعمل، فلا يطغى أحدهما على الآخر، وقد استدل عليه من تعبيرات عدة، منها: (للعلماء مرتبة وللصناع مقدار).
- **البعد الثقافي والقومي:** حيث يبدو البعد الثقافي والقومي واضحًا في شعر الهراوي، باعتباره يوضح أن نهضة المجتمع وحضارته منظومة متكاملة يدعمها هذا البعد عند بناء الشخصية القومية في مجتمع سوي، وقد استدل عليه من تعبيرات عدة، منها: (فليحيا نيل مصرا، نحن للأوطان نصر).

- **البعد الديني:** ويبدو هذا البعد جليًا في شعر الهراوي، مما يوضح أن الهوية الثقافية قوامها الرئيس البعد الديني من أجل مجتمع ذي حضارة قوية، وقد استدل عليه من عدة تعبيرات، منها: (إن تقوى الله نجح).
- **البعد التاريخي:** ويبدو البعد التاريخي في شعر الهراوي، بصورة توضح أن أهم مقومات الهوية الثقافية في مجتمع متماسك هو تاريخ مشترك يعزز لدى الفرد قيم الانتماء الوطني، وقد استدل عليه من تعبيرات عدة، منها: (وطني مصر ولي الفخر).

ملخص نتائج الدراسة

فيما يلي عرض لأهم الاستنتاجات التي تمخضت عنها الدراسة حول محتوى شعر الأطفال عند الهراوي، ودوره التربوي في تشكيل الهوية الثقافية المصرية، والتي يعد من أهمها:

- شعر الأطفال قد يسهم يشكل مؤثر في تكوين الوعي الثقافي والحضاري، وما يرتبط بها من قيم الولاء والانتماء الوطني.
- شعر الأطفال وسيلة فنية جاذبة من وسائل إعداد النشء، تعدُّ نافذة المجتمع إلى المستقبل، وهويته الثقافية.
- يكتب الهراوي للطفل من خلال رسالة تربوية، لها هدف سام، تساعد على بناء شخصية سوية، وفق الهوية الثقافية المصرية.

- تناولت قصائد الهراوي الأغراض التربوية والتعليمية المتنوعة التي تعمل على إعلاء قيم الحضارة العربية والإسلامية في نفوس اللأطفال، وتحث على العلم والعمل كقوة مؤثرة في تنظيم المجتمع، على المستوى الفردي والمستوى الجماعي.
- البعد الثقافي والقومي في شعر الهراوي يوضح أن نهضة المجتمع وحضارته منظومة متكاملة، يدعمها هذا البعد عند بناء الشخصية القومية بالمجتمع.
- البعد الديني في شعر (الهراوي)، يوضح أن الهوية الثقافية قوامها الرئيس البعد الديني في مجتمع ذي حضارة قوية، فهو محرك رئيس عند بناء مجتمع سوي.
- البعد التاريخي في شعر الهراوي يوضح الاستفادة من تاريخ الأمم السابقة كمقوم رئيس في بناء مجتمع متماسك يجمعه تاريخ مشترك وينتفع بتجارب الآخرين، مما يعزز لدى الطفل قيم الانتماء الوطني.

توصيات الدراسة

فيما يلي عرض لبعض التوصيات الخاصة بشعر الأطفال التي توصي بها الدراسة، بناء على ما توصلت إليه من نتائج:

- تخطيط مقررات إثرائية تلحق بها مجموعة أناشيد مناسبة راقية الهدف والمحتوى واللغة، وأصيلة تُعْنَى بالجانب التربوي التوعوي للمساهمة في تشكيل ثوابت الهوية الثقافية للطفل المصري.
- كتابة أناشيد تكسب الطفل قيم تراثه الثقافي والحضاري، كإحدى المقومات الرئيسة التي يعرف بها الطفل ذاته الوطنية والقومية.
- تصميم مسرحيات غنائية تقدم بمسرح العرائس في صورة محاكاة لشخصيات تاريخية ووطنية كقدوة حسنة مستهدفة ترسيخ قيم دينية وخلقية واجتماعية.
- إعداد مجموعة من البرامج الشعرية المسموعة والمرئية الموجهة بصورة تسهم في تشكيل ثوابت هوية الطفل.
- تنفيذ أنشطة صيفية في صورة معسكرات يتم من خلالها تناول نماذج شعرية تعمل على تعريف الطفل بتاريخه وحضارته، ونماذجه العربية والإسلامية المشرفة.
- القيام بأنشطة تنمي لدى الطفل حب العمل ودفعه إلى احترامه، وأن العمل والإنتاج القائم على العلم هو مصدر رخاء المجتمع.
- تصميم مجموعة من الأناشيد التاريخية، وعرضها بالتزامن مع القيام بمجموعة من الرحلات العلمية لأماكن تاريخية والمخطط لها فصليًا أو سنويًا، تسهم في تعزيز قيم الانتماء والولاء للوطن في وجدان الطفل.

قائمة المراجع:

١. أبو زيد، شيماء: برنامج فنون أدائية لتنمية هوية الطفل المصرى الثقافية، مجلة الطفولة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠١٨، ص ٣٧٢- ٤٤٨.

٢. الأسد، ناصر الدين: الثقافة العربية بين العولمة والعالمية. المغرب: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٩.

٣. الداقوق، رضا: العولمة تداعياتها وآثارها وسبل مواجهتها، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥..

٤. العبد الله، رامي: تقويم المضامين التربوية في القصص المترجمة للأطفال، في ضوء المعايير العربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة، ٣٠، ٢٠١٠.

٥. الغامدي، نورة بنت أحمد: قصص الأطفال لدى يعقوب إسحاق: عرض، وتقويم. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة أم القري، المملكة العربية السعودية، ٢٠١١.

٦. الكيلاني، نجيب: أدب الأطفال في ضوء الإسلام. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣..

٧. جاد، مني محمد: أدب الأطفال: أبعاده، وسبل مواجهته. القاهرة: مركز الدراسات المعرفية، ٢٠١٢.

٨. زلط، أحمد: أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي – دراسة تحليلية ناقدة. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٤..

٩. شهاب، رافد: أدب الأطفال في العالم العربي مفهومه: نشأته، أنواعه وتطوره – دراسة تحليلية. مجلة التقني، دمشق. ٢٦، ٢٠١٣، ص ٦– ٣٥.

١٠. طعيمة، رشدي: أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، النظرية والتطبيق، مفهومه وأهميته، تأليفه واخراجه، تحليله وتقويمه، القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠١.

١١. عبد الفتاح، هبة: تجليات القص في أدب الطفل عند يعقوب الشاروني، مجلة الطفولة والتنمية، القاهرة: المركز القومي لثقافة الطفل، ٢٠٢٠.

١٢. عبد الوهاب، سمير: أدب الأطفال: قراءات نظرية، ونماذج تطبيقية، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

١٣. عيد، محمد: الإبداع وثقافة الطفل، مجلة الطفولة والتنمية، كلية التربية، جامعة عين شمس.٢١، ٢٠١٤، ص ١٤١– ٢٢٣.